



خطبة صلاة الجمعة 27/4/2012 للشيخ الطبيب حمد حير استعال, في جامع أنس بن مالك، المالكي، دمشق

www.dr-shaal.com

### (البيان المخصوص)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ \* وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنُ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 8، 9].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى)) [رواه البخاري ومسلم].

وفي رواية: ((الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ)) [رواه مسلم].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)) وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ. [رواه البخاري ومسلم].

عنوان خطبة اليوم:

### (البنیان المرصوص)

أفرزت الأزمة التي نعيش احتياجات متنوعة قابلها جمعُ الخيرين في هذه البلدة بتعاون وتكاتف تذكرك بالبنیان المرصوص.

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ

**مَرْصُوصٌ**﴾ [الصف:4]. (المجتمع المسلم كالبنیان المرصوص، بنیان تتعاون لبنائه وتتضامن وتتماسك وتؤدي كل لبنة دورها وتسد ثغرها، لأنَّ البنیان كله يضعف إذا تخلت لبنة عن مكانها تقدّمت أو تأخرت سواء، وإذا تخلت لبنة عن أن تمسك بأختها تحتها أو فوقها أو على جانبيها سواء).

وإنَّ هذا التَّعاون والتَّكاتف والتَّأزر والتَّعاطف والتَّراحم بين المؤمنين في هذه البلدة يذكرك بما جرى بين المهاجرين والأنصار، الأنصار الذين أوسعوا لإخوانهم في دورهم، وشاركوهم في أموالهم وثمارهم، وقاسموهم الرِّاد والعتاد. يومها قال المهاجرون للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا رَسُولَ اللهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ وَلَا أَحْسَنَ بَذْلًا فِي كَثِيرٍ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُثُونَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَةِ حَتَّى لَقَدْ حَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ). قَالَ: ((لَا، مَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ وَدَعَوْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ)) [رواه أحمد].

وإني أحببت -أيُّها الإخوة- أن أعرض عليكم حوادث جرت في هذه البلدة في أيام الشِّدة فيها صورٌ راقية من التَّعاون والتَّكاتف إعانةً للذاكر وتذكرة للغافل، إذ التَّعاون طيبٌ ماهرٌ يزرع في النَّفس التَّفاؤل وينزع منها التَّشاؤم.

لولا التَّعاون بين النَّاس ما  
شُرُفت  
نفسٌ ولا ازدهرت أرضٌ  
بعمران

- جمع مدير عماله في أحد معامل هذه البلدة، وأخبرهم أنَّه يرى ارتفاع أسعار السِّلَع في الأسواق، ويرى الانخفاض النَّسبي لقيمة اللِّيرة، وبناءً على ذلك قرَّر مع المدير المالي أن يزيد أجور العمال بما يتناسب مع ارتفاع الأسعار وانخفاض قيمة اللِّيرة، ليكون مشاركاً لهم في الأزمة ومتعاوناً معهم في النَّائبات.

إِنِّي تَذَكَّرْتُ بِفَعْلَةِ هَذَا الْمَدِيرِ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ سَيِّدُنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((بَرِيءٌ مِنَ الشُّحِّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ، وَقَرَى  
الضَّيْفَ، وَأَعْطَى فِي النَّائِبَةِ))** [رواه البيهقي والطبراني].

- ومثلُ هذا المدير مديِّرُ إحدى الشَّرَكَاتِ الخِدْمِيَّةِ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ. فَعَلَ مِثْلَ الْأَوَّلِ وَزَادَ عَلَيْهِ - كَمَا يَقُولُ لِي أَحَدُ مُوظَّفِيهِ - بَأَنَّهُ طَمَّأَنَ الْعَامِلِينَ فِي شَرِكَتِهِ مِنْ بَدَايَةِ الْأُزْمَةِ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَطَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُطْمَئِنِّينَ عَلَى وَضْعِهِمَ الْمَالِي وَالْوُظُفِيِّ، فَهُوَ لَنْ يَسْرَحَ أَحَدًا مِنْهُمْ وَلَنْ يَنْقُصَ أَجْرَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، بَلْ سَيُعْطِيهِمْ رَوَاتِبَهُمَ الْجَدِيدَةَ بِمَا يَتَنَاسَبُ وَسِعَرُ الدُولَارِ.
- لَمَّا سَمِعْتُ الْحَادِثَةَ شَعَرْتُ بِالْأَمْنِ الَّذِي شَعَرَ بِهِ الْمَوْظُفُونَ، وَاطْمَأْنَنْتُ بِأَنَّ الْفَرَجَ قَادِمٌ بِإِذْنِ اللَّهِ، لِأَنَّ قَوْمًا تَعَاوَنُوا لَا يُغْلَبُونَ.
- كَتَبَ لِي أَحَدُ الْإِخْوَةِ الْمُغْتَرِبِينَ السُّورِيِّينَ يَقُولُ: إِنَّهُ مَعَ عَدَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادُوا مُسَاعَدَةَ الْمُتَضَرَّرِينَ فِي الْوُطَنِ، فَاقْتَرَحُوا تَزْوِيدَ بَعْضِ الْعَائِلَاتِ بِسَلَّاتٍ مَوَادٍ غِذَائِيَّةٍ وَحَسَبُوا قِيَمَةَ الْوَجْبَةِ بِمَا يَقَارِبُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا جَعَلُوهَا سَهْمًا وَاحِدًا. وَيُمْكِنُ لِلْمَشْتَرِكِ أَنْ يَدْفَعَ قِيَمَةَ السَّهْمِ الْوَاحِدِ عَلَى أَقْسَاطٍ.
- يَقُولُ الْمُرْسَلُ: وَلَكَ يَا سَيِّدِي أَنْ تَرَى صُورَ الْإِقْبَالِ عَلَى الْمُسَاعَدَةِ وَالتَّعَاوُنِ، فَبَعْضُ الْإِخْوَةِ جَعَلَ أَوْلَادَهُ يَقْدِمُونَ الْمَعُونَةَ مِنْ مَصْرُوفِهِمُ الْخَاصِّ، وَبَعْضُهُمْ اقْتَطَعَ 5% مِنْ دَخْلِهِ الشَّهْرِيِّ لِلْمُسَاعَدَةِ.
- وَبَعْضُ الْمُغْتَرِبِينَ أَرَادَ الْمُسَاعَدَةَ بِشَكْلِ آخَرٍ فَكَانَ أَنْ أَرْسَلَ لِأَهْلِهِ أَنْ يَفْتَحُوا دَارَهُ هُنَا فِي الْبَلَدِ لِاسْتِقْبَالِ الْعَائِلَاتِ الَّتِي تَضَرَّرَتْ دَوْرَهَا يُمْكِنُ ثَوْنُ فِيهَا إِلَى أَنْ يَعُودُوا سَالِمِينَ إِلَى دِيَارِهِمْ.

أَلَسْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ بِهَذَا الْعَمَلِ الْأَنْصَارِ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ  
وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: 9].

- مَجْمُوعَةُ شَبَابٍ يَعْمَلُونَ فِي سُوقِ الْأَوْرَاقِ الْمَالِيَةِ وَلَهُمْ مَوْقِعٌ الْكُتْرُونِي، قَامُوا بِحِمْلَةِ ضَمَنِ أَقَارِبِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ وَمَنْ يَعْمَلُونَ مَعَهُمْ مُسْتَفِيدِينَ مِنْ وَجَاهَتِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَمُصَدَّقَاتِهِمْ لِمَجْمَعٍ مِبَالِغٍ مَالِيَّةٍ تَبْدَأُ مِنْ خَمْسِمِائَةِ لِيرَةٍ وَحَتَّى الْخَمْسِينَ أَلْفًا. لِمُسَاعَدَةِ

المتضررين، فكان أن جمعوا مبلغاً لا بأس به قدّموه لإحدى الجمعيات الخيرية العاملة في مجال مساعدة المتضررين. يقول لي أحد هؤلاء: إنّ والد صديقي قسم بيته نصفين وقدم نصفه لعائلة متضررة وسكّن وأهله في النّصف الثّاني.

- وسمعت عن أخٍ فاضل له دار واسعة وعدد أفراد أسرته قليل، فرأى أن يستأجر داراً صغيرة ليخرج وأهله من دارهم الكبيرة ويقطنوا الدّار المستأجرة الصّغيرة، ليجعل داره الواسعة عارية لثلاث أسرٍ متضررة، كُلُّهُنَّ من النّساء.
- التّعاون رحمةً من الله يجعل الصّعب سهلاً والعسير يسيراً، ويلئم الشّمل ويوحد الصّنفوف ويسد الثّغور التي يتسلّل من خلالها اليأس والصّعف.
- أيّها الإخوة:

- أسمع -ولا ريب أنكم تسمعون- عن مئاتٍ من شبّاننا وبناتنا يتطوّعون في الجمعيات الخيريّة للمساعدة بجهدهم إذ لا يملكون المال.

- وعن نساءٍ مرضعات فقيرات يسألن عن أطفالٍ رُضِعَ يشاطرهنّ حليهنّ مع أولادهنّ.
- وعن مدرسين يجتهدون في تقديم الدّروس الخاصّة من دون مقابل لأبناء المناطق المتضررة معونة لهم على دراستهم.

- وعن حمّالين يؤازرون في تفريغ شاحنات المعونات متقاضين نصف أجورهم ومتبرعين بالنّصف الآخر.

- وعن عروسين كانا ينتظران حفلَ زفافهما بفارغ الصّبر، لكنّهما اختارا مُشترِكين أن يقتصرا في الحفل على أقلّ مظاهر الفرح والابتهاج، مواساةً للمنكوبين ومؤازرةً لأسر الشّهداء والمجروحين.

- وعن أبٍ جاء مع أسرته المؤلّفة من سبعة أشخاص من حمص، واستأجروا بيتاً لهم وأراد أحد الإخوة أن يُقدّم لهم سلّة موادّ غذائية، فاعتذر الأب إليه شاكراً، وأخبره أنّه سيكتفي بعلبة الحلاوة مع ربطة خبزٍ لأنّها تكفيه مع أفراد أسرته اليوم.

وعن... وعن... وعن...

في صورٍ كثيرةٍ تبعث فيك الأمل وتنزع من صدرك اليأس والقنوط.

ولئن كنت ترى أحياناً بعض الجشعين المبتزّين المستغلّين، فإنّ حالهم الثّدره، والقاعدة الأكبر أنّ النّاس يتعاونون ويتآزرون يشدّ بعضهم بعضاً كالبنيان المرصوص. أيّها الإخوة:

لكلّ وقتٍ عبادةٌ هي فيه الأفضل، فأفضل عبادة في رمضان الصّوم، وإذا نودي للصّلاة من يوم الجمعة السّعي إلى ذكر الله، وأفضل عبادة -أرها- في الأزمات التّعاون والتّكاتف والتّناصر والتّراحم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ زَادَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ)). قال الرّاوي: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتّى رأينا أنّه لا حقّ لأحدٍ منّا في فضلٍ. [رواه مسلم].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((إِنَّ الْأَشْعَرِيَّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ افْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)). [رواه البخاري ومسلم].

وكان يحيى بن معاذ الرّازي يقول: (ليكن حظّ المؤمن منك ثلاثة: إنّ لم تنفعه فلا تضرّه، وإنّ لم تُفْرِحْه فلا تغمّه، وإنّ لم تمدّحه فلا تدمّه).

والحمد لله ربّ العالمين